«الدرس الرابع»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم﴾ [التوبة:103]

إنَّ الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لا إله إلا الله وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ،

أما بعد:

فإن الله تعالى بعث نبينا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمرين اثنين، وكل الشريعة تدور عليهما، وقد ذكرهما إبراهيم داعيا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾ [البقرة:129] فقال نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مستدرك الحاكم قال «**أنا دعوة أبي ابراهيم**» فبعث الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلما مزكيا.

هذا ترتيب دعاء إبراهيم يعلمهم ويزكيهم، امتن الله على هذه الأمة فقال في سورة الجمعة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:2] فدعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام يعلمهم ويزكيهم، ومنة الله ببعثته نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأمة قال ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾. دعوات إبراهيم في القرآن، وكيف استجاب الله لها، وما هو الفرق بين الدعاء

والاستجابة تحتاج إلى وقفات، ووقفات، وما أجدر المسلمين بكتاب مثل هذا الكتاب دعوات إبراهيم في القرآن، وكيف استجاب الله عَزَّوَجَلَّ لها.

لا فائدة من العلم بلا تزكية قال ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾، ومن كان مزكيا معلما من طلبة العلم فهنيئا له، وهنيئا للأمة به، ومن كان معلما غامضا فالويل له، والويل لأمة محمد منه، الذين يتشدقون بالكلمات ويكثرون حمل الورق ويحسنون التعقبات، والقيل والقال في موطن ما ينبغي أن يقال فيه قيل، في موطن ما ينبغي أن يقع فيه خلاف، فالويل لهم.

هذه الآية قال الله عَزَّوَجَلَّ فيها ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:103] تزكية للعمل تزكية لصلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، أمر الله نبيه من جاءه دافعا للصدقة، زكاة أو صدقة أن يصلي عليه «**اللهم صل على آل أبي أوفى**» كما ثبت في الصحيحين، وقد جاءه بصدقة. فيسن للإمام إن جاءه أحد متصدقا -ويلحق به كل من يأخذ الصدقات- يسن به أن يجهر بالدعاء له، وأن يكثر من الثناء عليه وأن يُسمع الناس هذا الأمر.

الأصل -كما قلنا في الدرس الماضي- في الدعاء السر وليس العلن إلا الصدقة فيسن أن يجهر الإنسان بها.

الآية تدل على أنه لا يمكن للعبد أن يتطهر، وأن يتزكى حتى يزكي زكاة ماله ولا يكفرها شيء سوى أدائها؛ لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراج الزكاة.

فمن أراد أن يزكي نفسه فعليه أن يتفقد زكواته أولا ثم يتفقد صدقاته لا سيما عند حاجة الناس.

نقل لي بعض الأفاضل هذا اليوم قال لي لنا إخوة في غزة يموتون جوعا، وبإمكاننا أن نرسل الأموال لهم. الناس الآن لا يسألون للأسف، رحم الله الأشعريين كانوا أرملوا إذا افتقروا جمعوا مالهم فيما بينهم وقسموه بينهم بالسوية. لما يحصل فقر وجوع يجمع المال يصبح ذمة

واحدة، ويقسم بالسوية بين المسلمين، ولذا قال قتادة رَحِمَهُ اللَّه إن في المال صدقة سوى الزكاة. إذا احتاج الناس للصدقات لدرجة الموت جوعا فحينئذ يجب أخذ زكاة والصدقات، وتكون زيادة على المال.

الله يقول لنبيه ﴿خُذْ﴾ يا الله ما أجمل الصدقة، ما أجمل الزكاة، وما أنفعها. النبي الذي تولاها، والله أمرها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخطاب من أوائل الأوامر التي فهمت خطأ في تاريخ الإسلام فكان قوم من المرتدين اعتقدوا أن الزكاة خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا الله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ لا ليس هذا خاصا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن هذا رفعة للصدقة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله الذي أمره، وأمره بالآخرين والأمر لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكرنا في الدرس الأول من هذه المحاضرات. الأمر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر لأمته، وأمر الله لأمته أمر لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تأتي قرينة تدل على أن هذا خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:50] كما قال ربنا تعالى في المرأة التي نفسها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجوز لامرأة أن تهب نفسها لأحد إلا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ينبغي لمن فعل صالحا أن ندخل السرور على قلبه بالدعاء له، وبالكلام اللين ونحو ذلك مما يولد طمأنينة له وسكون لقلبه ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ قلنا السكن خلاف الاضطراب وخلاف الحركة، السكينة الطمأنينة، وفيه أيضا تنشيط من أنفق نفقة، وعمل عملا صالحا بالدعاء

والثناء ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أموال مضاف، والمضاف إليه هم ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ والمضاف والجمع، والمتصل بالمضاف إليه من ألفاظ العموم فقوله سبحانه ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ تشمل جميع الأموال.

الآن التفصيل في الأموال كلها، وزكاة الأموال هذا اعتنت به سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن يأتي بمطلقات وبالألفاظ العامة وتأتي السنة بالتقييد.

الله أمرنا بالصلاة، الصلوات الخمس وعدد الركعات ما ثبت شيء في كتاب الله؛ لأن سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجة، ولأن جبريل كما قال هشام بن حسان الشامي الدمشقي التابع الجليل قال إن جبريل ينزل بالسنة كما ينزل القرآن.

كذلك الزكوات فكل ما يشمل الأموال عليه زكاة، ولكن جاء التفصيل في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زكاة الماشية: خمسة من الإبل، البقر ثلاثين بقرة، الغنم أربعين غنمة وما شابه ورد هذا في السنة. الزروع والثمار كل خمسة أوسق عليها الزكاة، الدينار والدرهم وما أقله في إبدال التنزيل، لما نزلت هذه الآيات كان المال شحيحا، وكان المال قليلا في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففيه ربع العشر كما ثبت في صحيح البخاري، وربع العشر هو الذي نحن الآن نسميها ونقول عنها بعبارة عصرية بنقول 2.5 %.

تشمل الدين؟ نعم، وفيه قال الله عَزَّ وَجَلَّ صدقة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ تشمل الدين. الآن جئنا للمسألة التي وقفنا عليها في الدرس الماضي هذا الإبراء قرض أم لا؟

أقول من خلال الذي هو معروف عند العلماء الإبراء أن تسقط من ذمة من لك عليه دين مبلغا وتحسب هذا الإسقاط من الزكاة، وقلنا الشافعية

والحنابلة يمنعون لقوله ﴿خُذْ﴾ وقال الإبراء ليس أخذا فوقفوا عند ظاهر اللفظ، وأما الحنفية والمالكية فوسعوا المعنى ولم يقفوا عند ظاهر اللفظ فقالوا لا فرق بين أن يعطيني ثم أعطيه أو أن أسقط جزءا من المبلغ من ذمتي فأحسبه زكاة، والثاني أقعد والثاني أسهل والثاني مال إليه شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّه حتى قال إبراء ذمة الميت لك أن تحسبها من زكاتك إذا لك ألفين دينار على ميت فمات تقول هذه أنا أحسبها زكاة، أسقط الدين من ذمته حتى لا يُسأل عند الله عَزَّوَجَلَّ وأحسبها من الزكاة.

شيخ الاسلام ابن تيمية يرى أن هذا كذلك جائز. الشاهد أن ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ الأموال تشمل الدين هل الدين كله عليه زكاة؟ المديونون أربعة أقسام، وهنالك عنصران كليين بالاحتمالات تصبح أربعة مقر مليء، مقر فاقد عليه وعاجز عن سداد هذا الدين، الصورة الثالثة والرابعة تخص هل هو جاحد أم لا؟ جاحد ومليء، وجاحد وفقير، فمن هذه الأقسام الأربعة الزكاة واجبة على نوع واحد، هذا النوع إذا كان مقرا ومليئا، بمجرد أن تقول له يا فلان أن لي عليك دين يعطيك إياه، فهو دين لكن في حقيقة أمره كأنه أمانة فهذا فيه زكاة. أما إذا كان مقرا جاحدا، أو كان غير مقر سواء كان مليئا أو كان فقيرا فهذا تزكيه عند قبضك إياه، وتزكيه مرة واحدة، وليس عليه زكاة كل عام.

فهذا أيضا يؤخذ من عموم قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ الأموال تشمل جميع أنواع الأموال، أموال العروض والتجارة كذلك، الشيء الذي يعرض بالتجارة مال، وهذه جل أموال الصحابة واستدل بهذه الآية الإمام البخاري في صحيحه، والإمام البيهقي في سننه وجمع من أهل العلم على أن الزكاة واجبة في عروض التجارة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ دلالة على أن الإنسان يقوى على فعل الطاعات، ولا سيما البذل كلما زكت نفسه وتعلقت بالآخرة ونمت، والزكاة من النماء.

الزكاة الزيادة والنماء، فكلما زكت النفس كلما زاد تعلق الإنسان بالآخرة، وإذا شعر الإنسان أن هذه الصدقة سيجدها عند الله تعالى فحينئذ يتحمس للصدقة لذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الصدقة برهان**» الصدقة برهان على الإيمان، الصدقة برهان على أن الإنسان سيموت وسيبعث، وما هو حال المتصدِق مع المتصدَق عليه؟ كان المتصدقون قديما لما يرون المتصدق عليهم بين قوسين الآن (الشحاذين) مثلا فكانوا يقولون مرحبا بالذين ينقلون أموالنا من دار إلى دار.

هذا مثل العتال ينقل مالك من الدار الدنيا إلى الدار الآخرة ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ هذه الصدقة تطهرهم، وهذه الصدقة تزكيهم، وترفع مقامهم عند ربهم وتجعلهم بعيدين عن الأوساخ، لذا ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى الحسن والحسين يأخذون من مال الصدقة، وكانوا صغارا فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَخّ كَخّ إنها أوساخ الناس. الصدقات أوساخ الناس، ولذا من أدى زكاة ماله فقد طَهَّر ماله من الأوساخ فكان ماله طاهرا، وتمتع به والمتعة في الدنيا والآخرة، وأما الذي يجمع الأوساخ، ويأكل الأوساخ ولا يطهر ماله فهذا والعياذ بالله تعالى لا يعمل على زكاة ماله.

فهذه بعض الفوائد التي نستفيدها من الآية.

قال الله تعالى ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ لا نأخذ المال كله صدقة، نأخذ من المال صدقة، ومن المال ليس متروكة لنا، وإنما على حسب ما ورد في الشرع. فالكتاب يحتاج إلى السنة عند التطبيق العملي. إذا أردت أن تفهم كلام الله وأن تطبقه تطبيقا عمليا، ومن ذلك هذه الآية فإنك لا تستطيع أن تطبقها إلا إن كنت على علم في هذا الموضوع، وهناك ملاحظة ستأتينا مفصلة بعد قليل أو في الدرس الذي يليه أن الذي عنده مال يجب عليه شرعا أن يعرف أحكام الزكاة.

كل من عنده مال يجب عليه أن يعلم أحكام الزكاة حتى يطبق هذه الآية، وحتى يزكي نفسه بها كما أن الذي يريد أن يَحُج يحرم عليه أن يذهب للحج حتى يتعلم أحكام الحج، وهكذا.

فهنالك مقدار عيني يجب على كل مسلم أن يمتثله من العلم الشرعي يأتي بيانه وتفصيله بعد قليل إن شاء الله.

أخيرا أختم بمسألة مهمة، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خوطب هنا بقوله ﴿خُذْ﴾ ليس لأنه نبي، وإنما لأنه والي المسلمين، وقلت لكم أن أيام الردة أناس تركوا الدين خرجوا من الملة، أناس صدقوا بالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب، وأناس وهم هذا الصنف قالوا المال الزكاة هذا الخطاب ﴿خُذْ﴾ خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمر ليس كذلك. هذا فضل الزكاة فضل الصدقات، وليس لأن الزكوات خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان الناس في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عهد أبي بكر وفي عهد عمر، كان الناس يمر بهم السعاة ويأخذون الزكوات تحت إشراف الدولة. اتسعت الدولة في عهد عثمان فترك عثمان الناس يؤدون زكاتهم على حسب ديانتهم، فأصبح السعاة لا يأخذون المال من الناس، وكان عثمان يقول على المنبر كما في موطأ الإمام مالك لما يأتي شهر رمضان كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يقول على المنبر **شهر زكاتكم شهر صيامكم**. أدوا الزكاة في شهر رمضان. لماذا قال هذا عثمان؟ لأن صاحبيه الذين قبله أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُم كان هم يتولون أخذ الزكاة من الناس أما عثمان ترك الزكاة للناس فهم الذين يؤدون الزكوات فكانوا يذكرهم بها في رمضان. لا بأس أن تتعمد أن تخرج زكاة مالك رمضان، وهنا مسألة الكلام فيها يطول، ويحتاج إلى مجموعة كبيرة من الدروس، وتحتاج إلى تفصيل وتأصيل وهي تصرفات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ متى تكون على أنه نبي، ومتى تكون على انه والٍ، ومتى ينبغي أن يكون على أنه قاض، ومتى ينبغي أن يكون على أنه مفتٍ؟ فهنالك صور كثيرة تندرج في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت هند تشكو أبا سفيان من شحه، أول رواية في الصحيحين قد كان ممسك فقال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف. هل النبي قال هذا مفتي أم قاضي؟ إذا قلنا قالها قاضيا، فيجوز للقاضي أن يقضي بعلمه، أبو سفيان غائب ما استدعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قالها مفتيا فالمفتي في قواعد العلماء المفتي أسير المستفتي أنا أسير كلامك، ليس مطلوبا مني إذا قلت لي فلان زوجي ما أنفق علي أن أتثبت. إن كنت قاضي أتثبت لا يجوز لي أن أقضي. فوقع خلاف بين العلماء في كثير من التصرفات التي تصرفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجمع هذا في كتاب البديع شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي المتوفى 684هـ، العز بن عبد السلام له كتاب مطبوع اسمه الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، ذكر فيه الضوابط التي يتلمس من خلالها فعل النبي هذا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أنه وال، على أنه قاض، على أنه مفت، على أنه رئيس الدولة، وما شابه، ولهذا تظهر آثار معينة لكن ينبغي ونحن طلبة علم أن تكون هذه المسألة في بالنا، وأن نعلم أن من أوائل التحريف في التأويل، تحريف التنزيل ليس واردا في كتاب الله؛ لأن الله الذي تولى حفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9] تحريف التأويل من أوائل تحريف التأويل الذي ورد، وكان له أثر خطير وعميق، وارتد قسم من المسلمين ارتدوا عن الدين بسبب عدم فهم، فأبى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إلا أن يعاملهم معاملة المرتدين؛ لأنهم أنزلوا هذه الآية في غير محلها وفي غير مكانها.

نأتي للآية التي بعدها يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:113] آية جليلة، وكل آيات الله جليلة وفيها أحكام عديدة ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ما سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو للمشركين، ولو كان قريبا منهم هذه الآية نزلت في مناسبة، وهي موت عمه أبي طالب، وعمه أبو طالب كان نصيرا له، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصا كل الحرص على إسلامه، وثبت سبب نزول هذه الآية في الصحيحين، وينبغي أن نتسلح بسبب هذا النزول، وأن نركز ونحن نتكلم عن سبب نزول هذه الآية هل أسلم أبو طالب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ ولا سيما أن إسلام أبي طالب أو عدمه أصبح اليوم شعارا لفرقتين، أهل السنة جعلنا وإياكم منهم، وأن يحيينا على السنة وأن يميتنا على السنة وأن يحشرنا مع أهل السنة يقولون أبو طالب مات كافرا بناء على ما ثبت في الصحيحين، وسأذكر لكم بعد قليل القصة.

الشيعة والروافض يقولون لا أبو طالب مات مسلما وأبو طالب صحابي من الصحابة، ومن قال أن أبا طالب مات مشركا هذا ظالم، ويعتمدون على باقي الأحاديث، وهذا الشعار ليس الآن من الخلاف الذي هو واقع بين الشيعة وأهل السنة، وإنما من قديم وسأذكر لكم ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري الجزء السابع صفحة 195 قال وقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض. الكلام لمن؟ ابن حجر المتوفى سنة 852هـ القرن التاسع يقول وقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب، ولا يثبت من ذلك شيء. من الذي يقول هذا؟ هذا خاتمة أمراء المؤمنين

في الحديث الحافظ بن حجر العسقلاني، ولا يثبت من ذلك شيء وبالله التوفيق.

عبارة صغيرة لكنها مهمة، لما يقول ابن حجر وقفت على جزء ولم يثبت شيء هذا شيء مهم احفظه.

نأتي للرواية الصحيحة ثم نعرج على بعض الروايات التي لم تصح، وهي مذكورة في سيرة ابن إسحاق شرط ابن إسحاق كما هو معلوم منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية الثابتة في الصحيحين من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله على فراش الموت، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة أبيك عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب.

وأبى أن يقول لا إله إلا الله.. انتبه هذه الرواية في البخاري قال حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم بل على ملة عبد المطلب. قال وأبى يقول لا إله إلا الله. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك هذا الوفاء إحسان أبو طالب إليه، هو الذي كفله، ورباه فترة من حياته وكان ظهيرا له في دعوته، لكن ليس احتساب لأنه ابن أخيه فأنزل الله سبحانه ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ المراد بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:113] وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسوله صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56] الهداية والتوحيد يورث؟ الهداية من الله عَزَّوَجَلَّ.

طيب انتبه لمسألة قال الله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي﴾ نفي، وقال الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الشورى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52]

﴿إِنَّكَ لاَ﴾ لا نفي ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ لام التأكيد كيف نوفق بين الآيتين؟ واحد جاهل ما يعرف العربية يقول القرآن متناقض، كحال الصحفيين والذين يزعمون أنهم من أهل الفكر. ما معنى الهداية؟ لها معان كثيرة، معاني الهداية تدور على معنيين كليين. الدلالة والأمر الآخر الالتزام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المراد الدلالة ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ المراد الالتزام. قلوب الناس ليست بين يديك يا محمد، قلوب الناس يدي أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما شاء، ليس لك يا محمد أن تجعل فلانا ملتزما وفلانا ليس ملتزما، ولكن لك أن تدل الناس على الخير، أن تدل الناس على الصراط المستقيم فقولك ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ ما معنى الهداية هنا؟ الهداية في الصراط.. المعنيين يا رب علمنا ودلنا على الصراط، ودلنا على ما في الصراط وقلنا ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ قلنا الصراط هداية إلى وهداية في الصراط، وهذه هداية في الصراط، وليست هداية إلى الصراط. الهداية في الصراط ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ ﴿اهدِنَا﴾ دلنا واجعلنا نلتزم ما دللتنا عليه.

الدلالة والالتزام ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴾ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ لأبي طالب ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي﴾ إنك يا محمد لا تهدي بمعنى الالتزام، أنت تحب له أن يسلم، والله لا يحب له أن يسلم.

هذا دليل أو من الأدلة الكثيرة لأهل السنة على أن أبا طالب مات مشركا، ولم يسلم.

أما ما ورد عند ابن إسحاق، وأخرجه من طريقه بسنده البيهقي في كتابه دلائل النبوة في الجزء الثاني صفحة 346 أخرجه من طريق عن العباس عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس قال لما أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له يا عم قل لا إله إلا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة عند الله. قال يا ابن أخي والله لولا أن تكون سُبَّة علي وعلى أهلي من بعدي يرون أني قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها أقولها بالسر، فلما ثقل أبو طالب عليه المرض رؤي يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس فسمع قوله فرفع رأسه عنه فقال قد قالها والله الكلمة التي سألته عنها، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم أسمع.

هذه قصة مختلقة كذب ليست صحيحة. أولا بالمعايير الحديثية إسناده وضعف إسنادها لأن فيها رجل مبهم.

نقرأ السند مرة أخرى أخرجها الإمام البيهقي من طريق العباس عن عبد الله بن معبد عن بعض أهله. من هو بعض أهله؟ مبهم، وفي الإسناد إذا وجد رجل مبهم فهذا يسمى الإسناد ضعيف.

يسمى الإسناد الذي فيه رجل مبهم في علم التخريج إسناد مظلم، لأن فيه رجل مجهول.

طيب في القصة قال الحافظ ابن كثير أن في السند مبهما لا يعرف حاله، وهو قوله عن بعض أهله، وهذا إبهام في الاسم والحال، ومثله يتوقف فيه لو انفرد.

هناك في القصة نُكرة، والنكرة من وجوه، من أهم الوجوه التي في النكرة في القصة قال فأصغى إليه العباس، والعباس يومئذ ما كان مسلما، ما أسلم بعد فوجود ذكر العباس قد قالها، وأنه سمعها فتدل على النكرة في القصة، وكذلك أنها تخالف ما ثبت في الصحيح، وكذلك ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيح لما مات أبو طالب قال لولده علي قال له «وارِ أباك الضال» ولم يصل عليه، ولم يغسله فهذا كله يؤكد أن القصة صحيحة.

اليوم فيما نرى في تعليقاتنا على تعليقات علماء الشيعة، مثلا بعض المحققين ويفرحون بكتب الشيعة، الإمام النسائي أحمد بن شعيب صاحب السنن له كتاب جميل اسمه خصائص علي كتاب مسند احتفل به الشيعة، وممن طبعه محقق اسمه محمد باقر المحمودي، لما تعرض لقصة إسلام أبي طالب من صفحة 266-273 حشاها بالأكاذيب، حاشاها بالأحاديث الباطلة التي تدل على إسلامه، ومنها الحديث الذي أخرجه ثَمَّان الرازي في الفوائد عن ابن عمر قال إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية. هذا الحديث مداره عن الوليد بن سلمة، والوليد بن سلمة كذاب بل أَلَّف بعض المعاصرين من الروافض كتابا سماه أسمى المطالب في نجاة أبي طالب ملأه بالحشو والافتراء والكذب. فكل الأحاديث التي فيها أن أبا طالب أسلم لم يثبت منها شيء. تكفيني هذه العبارات، وهذا المقدار من الكلام والكلام طويل.

لكن المراد ها هنا قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا﴾ هذا في الصحيحين تفسير هذه الآية، وعدم نجاة أبي طالب ورد في القرآن ورد في هذه الآية. فهذه الآية قطعت الموالاة للكفار حيهم وميتهم، فليس للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين، فطلب الغفران للمشرك لا يجوز.

لا يجوز للمسلم أن يقول عن مشرك رَحِمَهُ اللَّه أو أن يقول المرحوم، أو أن يقول المغفور له.

سؤال: هل يجوز لك أن تقول عن رجل مسلم المغفور له؟ المرحوم؟ الجواب التفصيل إذا قلت المغفور له المرحوم بمعنى طلب الدعاء اللهم اغفر له اللهم ارحمه لا حرج، وأما إن قلت هذه العبارة مقررا أن الله قد غفر له ورحمه فهذا لا يجوز إلا بنص.

فلا يجوز أن تقول أن الله قد غفر لفلان، وإنما أنت تسأل ربك.

سؤال المغفرة والرحمة للكفار جائز لا حرج فيه حتى الكافر أن تقول له اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل أحد. «قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» ما في حرج، اللهم اغفر لهم، وهم أحياء وليسوا أموات يجوز لك أن تدعو لهم بالمغفرة أن يشرح الله صدورهم للإسلام، ولكن بعد أن يموتوا فتقول رَحِمَهُ اللَّه للمسلم على سبيل الدعاء لا على سبيل التقرير، وكذلك لك أن تقول المغفور له على سبيل الدعاء، المرحوم على سبيل الدعاء، والكافر ليس للمؤمن أن يترحم على الكفار. ذلك أن موضوع القرابة ليس له صلة بالإنسان، وهل يجوز لي إن كان قريبا أن أدعو له، وإن لم يكن قريبا فهذا محروم بعيد، لا فرق بين الناس جميعا القريب والبعيد. الفيصل إنما هو الإيمان.

فقطع الله تعالى موالات الكفار بعد وفاتهم، ولا يجوز للمسلمين أن يوالي الكفار لا في الحياة ولا بعد الوفاة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُون * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين *وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون﴾ [الزخرف: 28:26] قال المفسرون، وجعلها البراءة من الكفار وجعلها كلمة باقية في ذريته فيمن كان على ملته إلى يوم الدين، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف:28] المؤمنون لا الكفار لا في الحياة ولا في الممات وإذ قال إبراهيم لأبيه وأمه، ولذا أبو إبراهيم مات كافرا، زوجة لوط كذلك، ابن

نوح كذلك. التوحيد ليس فيه صلة قرابة، أبي طالب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك.

فموضوع التوحيد امر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والواجب على المسلمين إلى يوم الدين عدم موالاة الكفار، ولذا نستطيع أن نقول قاعدة: طلب الاستغفار للإنسان بعد وفاته لا ينفعه إلا بالإيمان.

إذا في إيمان لكان تدعو له أن تغفر له، وأما وهو كافر مات كافرا فهذا لا يجوز.

ندقق في لغة القرآن، وآن لنا أن ندقق في لغة القرآن لنفهم شيئا مهما جدا، ولا يفهمه فهما جيدا إلا من رزقه الله تعالى حصيلة من اللغة ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا﴾ هذا نفي، ولكنه نفي يراد منه النهي. الأصل في النهي أن يكون منفيا، وألا يكون واقع.

الفرق بين النفي والنهي الفعل في النهي يكون مجزوما، وفي النفي لا يكون مجزوما، وهذه قاعدة تفيد في فهم كثير من الآيات والأحاديث.

فالنفي الذي يراد به النهي أبلغ، فهو نفي للشيء نفسه؛ لأنه نفي معلل بالسبب المقتضي له، وهذا السبب باق وهو الشرك.

ففيه مبالغة في التنزه عن هذا الاستغفار وزيادة ﴿وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ مبالغة في استقصاء أقرب الأخوال فدلت الآية على المبالغة في إظهار البراءة من المشركين، والمنع من مواصلتهم ولو كانوا في غاية القرب.

نأخذ جولة سريعة مع مجموعة من النصوص الصحيحة من الأحاديث النبوية، وكذلك مع بعض الآيات الله يقول ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ [البقرة:233] لا يجوز أن تلحق الضرر بالوالدة، وهذا عند النزاع بين الزوجين عند الطلاق. ﴿لَا تُضَارَّ﴾ هذا نفي أم نهي؟ نفي المراد به نهي، ينهى الله الوالد إن فارق زوجته بطلاق أو غيره أن يلحق ضررا بها من

أجل الولد في أي صورة من الصور، لا يجوز للمطلق أن يتقصد إدخال الضرر على الأم بسبب الفرقة والمناكدة والمشاغبة بينه وبين زوجه ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ ولا العكس، ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ هذا نفي هذا نفي يراد به النهي ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ﴾ هذا نفي يراد به النهي.

من مثل مثلا «**لا يبيع أحدكم على بيع أخيه**» اللام هذه نافية ولا ناهية؟ نافية. لام للنفي، وليس للنهي لو كانت للنهي لقال النبي لا يبع ما قال لا يبيع هذا نفي، وكانت جازمة، لقال لا يبع، ما قال لا يبيع. لا يبيع يعني هو معدوم، وينبغي أن يبقى معدوما.

لم النبي قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا يبيع**» بصيغة النهي؟ حتى يدل على النهي، وهكذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**ولا يستطيب بيمينه**». لا يجوز لأحد أن يستطيب أن يستنجي بيمينه، فهذه نهي «**لا يستطيب**»، لو كانت نفيا لقال لا يستطب قال «**لا يستطيب**» هذه نافية ولكن المراد منها النهي، وهذا المعنى «**لا يجمع أحدكم بين المرأة وعمتها، بين المرأة وخالتها**» هذا نفي يراد به النهي، والحديث في الصحيحين لا يجوز أن تجمع بين الزوجة وعمتها وبين الزوجة وخالتها.. هذا يقطع الأرحام، وفي هذا الحديث دلالة على أن العمة رحم، وعلى أن الخالة رحم.. فجاء نفي ويراد به النهي، وهذا كما ذكرته لكم في بعض المناسبات فيما مضى خبر يراد به الأمر ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾ [البقرة:233] هذا خبر يراد به الأمر. ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران:97] هذا خبر يراد به الأمر.

فالخبر الذي يراد به الأمر ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ﴾ [البقرة:228] يخبر يراد به الأمر يا أيها المطلقة تربصي، لا يحل لك أن تتزوجي إلا بعد انتهاء العدة، فأول أخبار الأخبار الفطرية.

ما هو الخبر الفطري؟ الأم ترضع، المطلقة تقول أمهلوني حتى أروق، حتى انتبه لنفسي مدة الحيض، وكذلك النفي. فكل نفي يراد به نهي هذا من أقوى الأشياء.

فأمر طبيعي ما كان ينبغي لنبي أن يستغفر للمشركين، والتعبير ظاهر قالوا ﴿وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ تبين لك أن هذا مشرك، هذا لا يعبد الله، هذا لا يعظم الله، لا يوحد الله هذا مشرك قال ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ ليس فيه شك في تبين، هذا أمر تعرفه أنه ما قال لا إله إلا الله يوما قط ليس لك أن تستغفر له، ولو كان من ذوي القربى، ولو كان قريبا لك. ثم قال ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ كأن الجحيم مقصورة عليهم، هم من أصحاب الجحيم فليس لك يا محمد أن تستغفر لهم.

موضوع التوحيد، وموضوع الشرك موضوع القرابة لا تنفع فيه، وهذا ليس خاصة بنبي الاسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو خاص بجميع الأمم.

نكتفي بهذا القدر، ونكمل في درس غد،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.